

## الدراما العربية وترسيخ قيم التسامح الديني

### Arab drama and the consolidation of the values of religious tolerance

سمية بن جبار<sup>1</sup>، رمضان بن بخمة<sup>2</sup>

<sup>1</sup>جامعة الجزائر-1 - بن يوسف بن خدة، (الجزائر) bendjebbarsoumia@yahoo.com

<sup>2</sup>جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة، (الجزائر) ramdane2909@yahoo.fr

تاريخ النشر: ديسمبر/2022

تاريخ القبول: 2022/11/28

تاريخ الإرسال: 2021/01/27

#### المخلص:

عالجت الدراما العربية موضوع الاختلاف الديني وما نتج عنه من قضايا مريبة أثرت على العلاقات الدولية عموماً، كموضوع الإرهاب، والتطرف، والأقليات، وخطاب الكراهية؛ من خلال التركيز على ملف التسامح، كأحد الحلول الجوهرية القادرة على الحد من آثار هذه القضايا، وتحقيق السلام والعيش بقيم المواطنة، وذلك بإعداد نصوص درامية قوية تجمع بين قيم التسامح ونبذ العنف والتطرف، وبين الجذب والتأثير على المشاهد ما يحقق الهدف الأساسي لصناع الدراما، وهو الريح والانتشار، ومن أجل ذلك تتعرض الدراسة إلى الكشف عن معنى التسامح في السيناريوهات الدرامية، وعن مدى مساهمة الدراما التلفزيونية والسينمائية في ترسيخ ثقافة التسامح بين أفراد المجتمع الواحد وبلورة الوعي بها، باستخدام المنهج الوصفي، واختيار عينة عشوائية تمثلت في اثني عشرة عرضاً بين سينمائي وتلفزيوني؛ أدى تحليل مشاهدتها إلى استخلاص عدة نتائج يبرز أهمها في أن تراجع النص الدرامي ومنح الأحقية للنجوم للتدخل فيه أدى إلى تدني الحس الفني واختلال النظام القيمي الدرامي، ما جعل من موضوع التسامح تجارة رابحة لصانعي الدراما.

**الكلمات المفتاحية:** التسامح، التعددية الدينية، الاختلاف الديني، السينما، الشخصيات الدينية، الدراما.

#### Summary

Arab drama dealt with the subject of religious difference and the resulting confusing issues that affected public international relations, such as the subject matter, extremism, minorities, and hate speech. Focusing on the file of tolerance, as one of the essential solutions on reducing the effects of the issue, achieving peace and living with the values of citizenship, and this is a copy of dramatic texts that combines our values, rejecting violence and extremism and influencing the viewer, achieving the main goal of the drama makers, which is profit and spread, For this purpose, the study is exposed to the disclosure of the meaning of tolerance indramatic scenarios, and the extent of the contribution of television and cinematic dramas to consolidating a culture of tolerance among members of the same society and crystallizing awareness of it, using the descriptive approach, and selecting a random sample of twelve shows between cinematic and television; The analysis of its scenes led to the conclusion of several conclusions, the most important of which is that the retreat of the dramatic text and the granting of entitlement to the stars to intervene in it led to a decline in artistic sense and the disruption of the dramatic value system, which made the issue of tolerancea profitable business for the makers of drama

**Keywords:** tolerance, religious pluralism, religious difference, cinema, religious figure, dram.

## مقدمة

يختلف مفهوم التسامح في السيناريوهات الدرامية عن معناه في معاجم اللغة التي حصرت في دائرة الكرم والعطاء والتساهل واليسر، ويأخذ أبعاداً أعمق عن معناه في اصطلاح المفكرين، وعلماء السياسة والاجتماع والنفس، الذين وضعوا له تعريفات عديدة ومتنوعة لا تخرج عن سياق نبذ العنف والإرهاب، والسعي للحوار، وتقبل كل مختلف والتعايش معه، فقد صنعت الدراما العربية مفهوماً واسعاً للتسامح بين الديانات يمزج بين معاني خيالية وأخرى واقعية، تماشياً مع متطلبات النص الروائي والخلفية الأيديولوجية التي أقحمت في بناء النص، والخلفية الأيديولوجية لواضع السيناريو، الذي يقبل نصوصاً وفقرات روائية أو يحذف أخرى ويزيد مشاهد من إنشائه، ليحقق الأغراض التي صيغ من أجلها، وهي الانتشار الواسع والاقناع بالأفكار التي يحملها، وبذلك يحظى بالقبول والإقبال الجماهيري ما يحقق الإيرادات العالية التي تعتبر الهدف الأكبر والمشارك بين صانعي الدراما.

وبما أن عامل الزمن من أهم العوامل التي يركز عليها العمل الدرامي كتابة وإنتاجاً وإخراجاً، فإن اختيار الموضوعات التي يعالجها لا بد أن يكون دقيقاً متوافقاً مع الوقائع والأحداث الحاصلة في المجتمع المتلقي لهذا الفن، ليكون التأثير قوياً والإقبال أقوى، وهذا يؤكد اهتمام الدراما العربية في السنوات العشر الأخيرة وبالتحديد منذ بداية الثورات العربية بموضوع تعدد الديانات في مجتمع واحد، لبروزه أكثر على الساحة بفعل المؤثرات السياسية التي استغلت تعدد الديانات، وكذلك المذاهب والطوائف لتفتت أي مجتمع وإفشال ثورته، وكذلك بفضل عوامل إنسانية واجتماعية، مثل: التعايش بين أصحاب الديانات المختلفة في وطن واحد، واتحادهم من أجل إصلاح وطنهم، وتوافقهم بطابع وفكرة المواطنة، جعل من موضوع التعدد مادة مغرية للإعلام بصفة عامة ولصانعي الدراما بصفة خاصة.

ولهذا تهدف الدراسة إلى الكشف عن معنى التسامح في السيناريوهات الدرامية، وعن مدى مساهمة الدراما التلفزيونية والسينمائية في ترسيخ ثقافة التسامح بين أفراد المجتمع الواحد، وبلورة الوعي بها، وبيان مدى اهتمامها بالشخصيات الدينية وكيفية توصيفها لها، كذلك نقل الصورة الإيجابية التي قدمتها الدراما عن التسامح بين الديانات خصوصاً بين المسيحيين والمسلمين على اعتبار أن العينة المستخدمة جلها من الدراما المصرية التي تحاكي واقع العلاقات بين المسلمين والمسيحيين باعتبارهما أبرز ديانتين في الدولة المصرية.

ومن الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع تزايد إنتاج الأفلام والمسلسلات العربية التي تعالج موضوع تعدد الديانات طيلة السنوات المذكورة بصفة ملفتة للانتباه ومثيرة للبحث، حيث تناول الموضوع بطريقة واضحة تظهر في العنوان ابتداءً، كفيلم حسن ومرقص إنتاج سنة 2008، وتناوله أيضاً بطريقة غير مباشرة بتمرير رسائل عن العلاقة بين دين وآخر، أو تجعل الموضوع ثانوياً في القصة الرئيسية، كمسلسل سابع جار إنتاج سنة 2018، كما أن الموضوعات للصيقة بتعدد الديانات، كالتطرف الديني وعلاقة المسلمين بالمسيحيين مثلاً كان لها النصيب الأوفر من المعالجة الدرامية العربية.

وتظهر أهمية موضوع التسامح بين الديانات في الدراما العربية وتقديمه كحل حاسم للحد من الخلافات بين الملل والطوائف الدينية من خلال ما يشهده عالم الفن السينمائي والتلفزيوني بصفة عامة من تراجع على مستوى النص والإخراج، والتزايد الكمي لإنتاج أي محتوى بغض النظر عن القيمة التي يحملها، واقتناصه للموضوعات الشائكة والمربكة لمعالجتها بغض النظر عن كيفية طرحها: هل تلائم الجمهور المتلقي أم لا؟ وهل تصنع فكراً ورأياً بانياً للمجتمع أم لا؟ ما جعل موضوع تعدد الديانات -الذي يمثل قاعدة لظهور ملف التسامح وتبلوره- من الموضوعات الشائكة التي لم تغب عن أي نص درامي في السنوات الأخيرة مهما كان نوعه وحجمه وهدفه، وعليه يجدر بنا أن نطرح السؤال التالي: **ما مدى مساهمة الدراما التلفزيونية والسينمائية العربية في ترسيخ ثقافة التسامح والتعايش بين المنتمين إلى الديانات المختلفة؟** الذي تبين الإجابة عنه طبيعة المعالجة الدرامية لقضية التسامح عموماً وما يتفرع عنها من قضايا وذلك وفق التساؤلات التالية:

- ما وجه الارتباط بين التسامح والتعددية الدينية في الدراما العربية؟

- ما أهم صور التسامح والتعايش التي تجسدها الدراما العربية بين هذه الديانات؟

- ماهي طبيعة الشخصيات الدينية في الدراما العربية؟

### 1- ضبط المفاهيم:

توصيف مدى مساهمة العمل الدرامي في نشر وترسيخ ثقافة التسامح والتعايش بين الديانات في الوطن الواحد ونشر قيمها بين مواطنيه، وتحديد الصورة التي يصنعها عن الديانات في أذهان الجمهور المتلقي يفرض أولاً تحديد المفاهيم المقصودة في الدراسة (التسامح-الدراما) ليتيسر تفكيك المحتوى الدرامي وتوصيفه وفق المفاهيم الصحيحة لهذه المصطلحات

**1-1- التسامح:** لقد كان التلاقي الحضاري الذي تم للأمة الإسلامية بالأمم الأخرى - وخاصة المسيحية منها- وظهور علاقة الغالب والمغلوب عبر الحرب الحضارية والدينية واللغوية التي رعتها الكنيسة أثر على فهم المسلمين الصحيح للمصطلحات أثناء استهلاكهم لثقافة الآخر المسيحي على وجه التحديد، فحين بدأ تداول ملف التسامح وظهور فكرته في أوروبا خلال القرن 16م، لم يعد يميز بين معناه في أصله المسيحي ولغته اللاتينية، وبين لفظه ومعناه في اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية رغم التباين الجذري في معناه بين الثقافتين.

**أ- في اللغة العربية والثقافة الإسلامية:** مادة "س.م.ح" في اللسان العربي أصل يدل على سلاسة وسهولة، يقال رجل سمح جواد كريم<sup>1</sup>، والسماحة الجود والسماحة المساهلة<sup>2</sup>، أما السماحة هي بذل مالا يجب تفضلاً<sup>3</sup>، أما في القرآن الكريم لم يرد "التسامح" بهذه المفردة صراحة وإنما ورد بمفردات أوسع وأكثر شمولية من معانيه في اللغة منها :

-**العفو والصفح:** قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>4</sup> ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ لَا لَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>5</sup> وغيرها من معاني الصفح والعفو مع أهل الكتاب وغير المؤمنين التي جاءت في مواضع كثيرة من القرآن.

- **الإحسان:** قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾<sup>6</sup>، وورد أيضا باللفظ نفسه "الإحسان" في سورة النحل الآية 90 وفي سورة المؤمنون الآية 96 وسورة القصص الآية 77.

والتسامح في الثقافة الإسلامية عند العلماء والمفكرين ورد بمفاهيم متقاربة، تدور حول حسن التعامل والتساهل وسعة الصدر مع المخالف في الدين، فقد بين محمد الطاهر بن عاشور على أن «أصل المسامحة السهولة في المخالطة والمعاشرة وهي لين في الطبع في مظان تكثر في أمثالها الشدة... وهو اصطلاح يراد به إبداء السماحة للمخالفين للمسلمين بالدين»<sup>7</sup> ويحصره أبو الأعلى المودودي في حسن المعاملة من جهة العقيدة فيعرفه على أنه: «تحمل عقائد غيرنا وأعمالهم على كونها باطلة في نظرنا ولا نطعن فيهم بما يؤلمهم رعاية لعواطفهم وأحاسيسهم، ولا نلجأ إلى وسائل الجبر والإكراه لتصريفهم عن عقائدهم.... والعمل على هذا الوجه أمر لا بد منه لبقاء وجه السلام، وحسن التفاهم بين عدة جماعات مختلفة العقائد»<sup>8</sup>، وهناك من العلماء والمفكرين من يخصص استخدام هذا المصطلح في الحديث عن تاريخ تعامل المسلمين مع من يخالفهم في العقيدة، لكن يستهجن استعماله أثناء عرض موقف الاسلام من أهل الكتاب وأصحاب العقائد المخالفة، لأن فيه إقلاقا من قيمة الموقف الإسلامي الصحيح، ومن المكانة التي أعلى الله بها سبحانه وتعالى للإنسان. يقول فهمي هويدي «إن إطلاق وصف التسامح على علاقة المسلمين بالآخرين لا يعد مستساغا الآن بأي حال، ذلك أنه يكون مفهوما ومقبولا أن يذكر تسامح المسلمين إذا كنا نتحدث عن التاريخ»<sup>9</sup> ويتفق معه سعيد رمضان البوطي الذي يرفض هو الآخر هذا المصطلح أصلا في وصف الأحكام التي تنظم علاقة المسلمين بالكتابيين في أي حال من الأحوال، لأن نعت أحكام أهل الذمة بالتسامح لا ينصف الإسلام، ولا يكرم الكتابيين أيضا لأن من حقهم أن لا يقبلوا المعاملة التي عاملهم بها الإسلام مهما كانت كريمة، إذا ما ألبست ثوب الإحسان وصبغت بصيغة التجاوز والرحمة<sup>10</sup>.

إلا أن مصطلح التسامح اليوم يستخدم في مدونات بعض المفكرين العرب والمسلمين بمعناه الغربي المترجم عنه، بعيد عن المنهج الذي صاغه الله سبحانه وتعالى في التعامل مع أهل الذمة، وذلك لاعتبارات عديدة منها: أهميته في إيجاد حلول لتجاوز نزعات التعصب، وعقلنة ظاهرة الاختلاف والتعدد

الديني والمذهبي لأن: «التسامح يظهر مفعوله في المواقع التي هي مظنة ظهور ضده أي التعصب»<sup>11</sup>، رغم أن ملف التسامح قديم جديد؛ طرح على الساحة العربية الإسلامية لأغراض سياسية مثله مثل ملف الحوار، وملف حقوق الأقليات، إلا أن تفعيله بحسب القيم التي يحملها من السلام والتعايش مع المختلف عقيدة ومذهباً يمكن أن يكون «حلاً للإشكالات الناتجة عن التعددية داخل المجتمع الواحد وبين المجتمعات، فهو البديل العادل للتعصب ورفض حق الآخر في الاختلاف والسبيل الوحيد إلى تعايش سلمي قائم على المساواة في الحقوق بين مختلف مكونات المجتمع»<sup>12</sup>

**ب- في اللغة الأجنبية والثقافة المسيحية واليهودية:** لم يرد مصطلح التسامح في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وإنما ظهر عند المسيحيين بصورة بارزة في القرن 16م مع حركة الإصلاح الديني كرد فعل للصراعات خاصة بين الكاثوليك والبروتستانت، وقد جُسد مفهوم التسامح في بعض كتابات آباء الكنيسة انطلاقاً من أخلاق المسيح، يقول الأب لويس حزيون في هذا الأمر «موقف يسوع في التسامح قبول الآخر واحترام حريته، وثقافته، وعقيدته، وقيمه بعيداً عن التعصب مستنداً بقول من الكتاب المقدس "من لم يكن علينا كان معنا" وهذا يشير إلى الانفتاح على الآخر وتقبله»<sup>13</sup>، ويتوافق هذا المعنى مع ما جاء في وثيقة إعلان المبادئ العالمية الصادرة عن اليونسكو، التي عرّفت التسامح على أنه: الاحترام والقبول للتنوع الثري لثقافات عالماً، فهو الفضيلة التي تيسر قيام السلام محل ثقافة الحرب وحرية الفكر والمعتقد<sup>14</sup>، أما الترجمة العربية لكلمة *tolérance* هي تسامح، ومصطلح *tolération* يراد بها: "سياسة التسامح الديني"!!<sup>15</sup> وتعني التحمل؛ فجوهر التسامح في اللغة اللاتينية ومنه في الثقافة الغربية هو: المعاناة أو التعايش مع شيء لا يُحِبُّ في الحقيقة، وربما هو شر بصورة من الصور<sup>16</sup>، وانطلاقاً من هذا المعنى لا يمكن أن يكون التسامح حسبهم قيمة أخلاقية وحسب، وإنما هو قضية سياسية، لأن مفهومه عند علماء اللاهوت يعني: «الصفح عن مخالفة المرء لتعاليم الدين»<sup>17</sup>، ويقصد به مخالفة تعاليم المسيحية، لكن تعريفهم له في المجمع الفاتيكاني الثاني لم يكن التسامح يتناول الدين وإنما الثقافات.

وعليه نخلص إلى القول أن التسامح من المصطلحات الحديثة نسبياً في القانون الدولي، وهو جوهر تطبيق الديمقراطية، وهو ثقافة مجتمعية انتقلت من دائرة الأخلاق إلى دائرة الالتزام في القانونين الدولي والداخلي، اللذين أوجبا المساواة بين أبناء البشر، منعا للتمييز العنصري والقومي والديني والاثني، ولك يكن لثقافة التسامح هذه أهمية إلا بعد أقول الديكتاتوريات في العالم، وحلول لدلها الديمقراطية في عديد دول العالم<sup>18</sup>.

**\*التعايش:** مصطلح له علاقة بالتسامح ويعني: رفع شعار التسامح ليتوسل به لتحقيق التعايش المنسجم بين أفراد المجتمع الواحد المختلفين ثقافة ومعتقداً ولغة، وبين مجتمع وآخر، وكلاهما "التعايش والتسامح" مطلب ضروري في عالم يعد فيه اختلاف وتعدد الأديان حتمية، فمن الأصل اللغوي للتعايش «العين والياء والشين» التي هي أصل صحيح يدل على الحياة والبقاء»<sup>19</sup> عُرِّف على أنه: «

مجتمع طائفي يعيش أهله في تعايش ووثام: يعيشون في تساكُن وتوافق داخل المجتمع على الرغم من اختلافهم الديني والمذهبي»<sup>20</sup>، والتعايش كمصطلح ينتمي إلى مجال العلاقات الدولية، دعا إليه خروتشوف عقب وفاة ستالين لتهدئة الحرب بين المعسكرين ودعم ثقافة قبول الاختلاف الإيديولوجي<sup>21</sup>، أما كمفهوم فهو قديم قدم الاختلاف بين البشر لونا وعرقا ودينا، فكافة الأديان تدعو للتعايش بمناهج وسبل مختلفة، أبرزها المنظومة التي وضعها نبي الأمة بين المهاجرين والأنصار، وتعبّر عن أحد أنواع التعايش وهو التعايش بين المتوافقين ديانة المختلفين ثقافة، في حين تسفر النظم والقواعد المنصوصة في القرآن والسنة لأهل الذمة عن التعايش بين المختلفين ديانة في دولة واحدة أي تعايش كل من المسلمين واليهود والمسيحيين تحت حكم الدولة الإسلامية.

**1-2- الدراما:** كلمة دراما يونانية الأصل مشتقة من الفعل اليوناني القديم *spaua* بمعنى أعمل، وتعني أي عمل أو حدث سواء في الحياة أو على خشبة المسرح، أما في الاصطلاح فهي شكل من أشكال الفن القائم على تصور الفنان لقصة تدور حول شخصيات تتورط في أحداث<sup>22</sup>، وتعني بشكل أوسع «العمل الذي يشكل موقفا فنيا»<sup>23</sup>، والدراما في العرف الأجنبي هي تلك «المسرحية الحوارية التي يقوم بها شخص واحد أمام جمهور، ثم ظهرت فنا مسرحيا لإبراز الشعائر الدينية النصرانية»<sup>24</sup>. ويظهر من هذا التعريف أن الدراما استخدمت في بداياتها لعرض الأفكار الأكثر أهمية عند متلقيها وهو "الدين"، وإلى اليوم تعد الموضوعات الدينية على تنوعها عنصر جذب في الدراما العربية، لأن تأثر صانعي الدراما العربية اليوم بالأفكار والنظريات الغربية جعلهم يتعاملون مع مثل هذه الموضوعات بطريقة غير معتادة بالنسبة للمشاهد فكرة وحوارا وصورا وشخصيات، ما يجعله مشدودا عاطفيا لكل ما يشاهده أمامه مجسدا بدقة عالية تحاكي الواقع وتجد حلولاً لمعضلاته، عن طريق أفكار مستوحاة من أي مذهب أو اتجاه أو نظرية.

## 2 - الإجراءات المنهجية:

### 1-2- نوع الدراسة ومنهجها:

بما أن الدراسة تنتمي إلى الدراسات الإعلامية عموما ، فإنها تسير وفق منهج من مناهج البحث فيها، وهو المنهج الوصفي الذي يقوم على «رصد ومتابعة دقيقة لظاهرة أو حدث معين بطريقة كمية أو نوعية في فترة زمنية معينة، من أجل التعرف على الظاهرة أو الحدث من حيث المحتوى أو المضمون، والوصول إلى نتائج تساعد في فهم الواقع وتطويره»<sup>25</sup> فقد اعتمدتاه لوصف مظاهر التسامح بين الديانات المختلفة في الدراما العربية، وتوصيف الشخصيات المنتمية للديانات السماوية في النص الدرامي، وللوصول إلى نتائج مرضية ويمكن تعميمها على كل النصوص الدرامية التي عالجت الموضوعات الدينية، تم اختيار عينة عشوائية من المسلسلات والأفلام التي عرضت خلال سنوات الأخيرة للسبب المذكور سابقا، وهو عامل الزمن أي اهتمام الدراما بموضوع التعددية الدينية والتسامح بين الأديان، زاد بشكل ملحوظ مع بداية الثورات العربية إلى الآن مقارنة بالقرن الماضي، حيث عالجت الدراما هذه

القضايا بشكل متحفظ نوعا ما بالإشارة فقط لطبيعة العلاقة بين المسيحي والمسلم واليهودي من غير إعطاء مساحة كبيرة لهذه القضية، وبغير جرأة في نقل الواقع، كفيلم الإرهابي إنتاج سنة 1994 ، أو جعل هذه القضية هي الحبكة كفيلم شقيقة القبطية والراهبة إنتاج سنة 1969.

**2-2-المادة التحليلية:** عبارة عن عينة عشوائية من أفلام ومسلسلات تناولت قضية تعدد الأديان فيوطن واحد، وما يتفرع عن هذه القضية من إشكالات كالتسامح والتعايش بين المنتمين لهذه الأديان، والتطرف الديني في الديانات السماوية الثلاث، وطبيعة الالتزام الديني في كل ديانة، وحقوق الأقليات الدينية، وأنماط الشخصيات الدينية حسب كل ديانة، وغيرها من الموضوعات المتفرعة عن التعدد الديني، وقد أفرد صانعو الدراما بعضا من هذه الأفلام والمسلسلات لمعالجة هذا الموضوع بشكل حصري ومتفرد، مثل مسلسل **الأخت تريز** سنة 2017 ، وأخرى موضوع التعددية فيها يمثل خط الوسط؛ حيث ترفع هذه الجزئية في الفيلم أو المسلسل من قيمة العمل الدرامي ككل مهما كان حجمه، مثل فيلم **أحمد مرجان** سنة 2007 ، كما هو موضحة في الجدول الآتي حسب سنة الإنتاج:

| العنوان            | النوع | سنة الانتاج |
|--------------------|-------|-------------|
| حسن ومرقص          | فيلم  | 2008        |
| اللهم إني صائم     | مسلسل | 2017        |
| السفارة في العمارة | فيلم  | 2005        |
| مأمون وشركاؤه      | مسلسل | 2016        |
| أولاد العم         | فيلم  | 2009        |
| حارة اليهود        | مسلسل | 2015        |
| سابع جار           | مسلسل | 2017        |
| الريان             | مسلسل | 2011        |
| مرجان أحمد مرجان   | فيلم  | 2007        |
| ما ملكت أيما نكم   | مسلسل | 2010        |
| السبع وصايا        | مسلسل | 2014        |
| الأخت تريز         | مسلسل | 2012        |

### 3-ارتباط التسامح بالاختلاف الديني وتوظيف الدراما له:

إن فكرة التسامح بين الديانات وترسيخ الدراما لها في ذهن المشاهد ومن ثمة في سلوكه مأخوذة أساسا من نظرية التعددية الدينية التي بدورها أفرزت ملف التسامح هذا، وطرحته في غلاف براق مغر

عاطفيا ومقنع عقليا لكل مريد للسلام والعيش في انسجام، وكونها تهدف للاعتراف بكل الديانات، فهي تجعل مفهوم النجاة أو الخلاص في الأديان ليس حكرا على دين بعينه، وإنما قسمة بين الأديان كما جعلت الحقيقة كذلك.

وفكرة التعددية الدينية جاء بها **جون هيك John Hick** الذي يرى أن "الأديان جميعا تحتفظ بجوهر الدين، والتعليمات الدينية على اختلافها تفعل وتحقق هذا الجوهر في حياة الإنسان بدرجات متفاوتة، ومن غير المناسب الحديث عن الأديان كأديان خاطئة أو ضالة أو هادية، فالأديان تقاليد وعلاقات دينية تطورت لتعبر عن أشكال الفكر، فهي تصورات وأفهام متنوعة عن الحقيقة الإلهية العليا"<sup>26</sup>.

ويعبر الباحث الألماني **شلايرماخر Schleiermacher** عن الفكرة نفسها بأن "الدين عبارة عن لب وقشور فاللب: الانسلاخ عن الذات والعروج إلى الله، أما القشور: فهي سائر ما في الدين من تعليمات، لذلك وجب المحافظة على اللب، أما التعليمات فلا يجب أن نأخذها بصورة قطعية، إذ الأديان كلها تشترك في الجوهر وتختلف في التعليمات، وليس لدين من هذه الأديان أن يدعي أنه يحتكر الحقيقة كلها لنفسه، فلكل دين حظ من الحقيقة، فهم يختلفون في الطرق لكن يلتقون عند نقطة واحدة وهي الله"<sup>27</sup>، والداعون إلى هذه الفكرة والمؤسسون لهذه النظرية هدفهم الأول وضع فهم جديد للدين يتوافق مع العلمانية، فالجذور الأولى لهذه الفكرة بالأساس كما ذكرنا سابقا تعود للصراع القائم بين الكنيسة والعلماء، فما ما يؤكد شلاير ماخر وجون هيك من محافظة على اللب وهدم الاكتراث بالتعليمات يتساقط فقط مع الدين المسيحي الذي لا يؤثر الإخفاق في أداء التعليمات على دين صاحبه وتدينه بعكس الدين الإسلامي الذي تمثل التعليمات أو الشريعة فيه طريق للتحقق بلب الدين والتخلق به؛ لذلك فما طرحه كل من هيك وشلاير ماخر يتطابق مع ما حدث في النظام الكنسي بعد تمكن العلمانية "قبعد أن تجذرت العلمانية وأقصت الدين عن الحياة ظهرت إشكالية كيفية التوفيق بين الدين الذي يمنع الخلاص خارج نطاقه، وبين العلمانية التي تسعى للخروج من عباءته، فجاءت هذه النظرية لإيجاد فهم جديد معاصر للدين يتفق مع تصور العلمانية للأديان، ومحاولة تطويع الأديان لكي لا تقف في مواجهة مع العلمانية في أيديولوجيتها..<sup>28</sup>".

وفي المقابل هناك محاولات جادة لنقل هذه النظرية إلى العالم الإسلامي من طرف أفراد ومؤسسات<sup>29</sup>، فقد تبنى هذه الفكرة ودعا إليها الكثير من المفكرين العرب والمسلمين أبرزهم **محمد أركون** و**عبد الكريم سروش**، الذي حل هذه الفكرة في كتابه الصراطات المستقيمة، حيث لقي إقبالا واسعا من طرف الدارسين بالنقد والتحليل، فهو يجري فكرة **جون هيك John Hick** ويمنحها أبعادا أعمق حيث يضيف على الخلاص الذي يجعله **هيك** غير مقتصر على المسيحيين، وعلى التسامح الذي يجعله مطلبا واضحا، أي على المسيحيين الالتزام أخلاقيا باحترام أتباع الديانات الأخرى، التجربة الإيمانية التي يعتبرها **سروش** «حضورا فرديا ذاتيا غير قابل للنقل للآخرين.. والنتيجة التي يتوصل إليها عندما تغدو التجربة

هي القاسم المشترك بين الأنبياء، وبالتالي بين أتباعهم فالحقيقة واحدة لكن بتجلي الحقيقة لهؤلاء الأنبياء على ثلاث أنحاء لهذا قدموا لنا ثلاثة أديان»<sup>30</sup>.

ووفق هذه النظرية التي تدل على وحدة الأديان وتدعو للتسامح كوسيلة لبقاء هذه التعددية في انسجام وتعايش، عملت الدراما التلفزيونية والسينمائية العربية دعم فكرة صحة الأديان السماوية كلها باعتبار أنها تعبر عن الحقيقة بنسب متفاوتة دفعا للصراع بين أتباعها، وتفعيلا لثقافة التسامح التي تيسر «تطبيق حق المواطنة في صورها الكبرى، لأن هذه الخاصية تتطوي على أمرين: الاعتراف بتعدد المعتقدات داخل وطن ما، والتعايش السلمي بين أصحاب هذه المعتقدات مع احتفاظ كل بخصائصه العقدية»<sup>31</sup> وبناء على هذا نتطرق فيما يأتي إلى: بعض صور التسامح الديني في الدراما العربية؛ شخصية كل من المسلم والمسيحي واليهودي في الدراما العربية؛ أنواع العلاقات وطبيعتها بين أصحاب الديانات المختلفة في الدراما العربية

#### 4- صور التسامح الديني في الأفلام والمسلسلات العربية:

إن الإقبال الذي تشهده الدراما خاصة التلفزيونية يجعل تأثيرها يهيمن على المشاهد هيمنة تامة،<sup>32</sup> فما عدا التأثير البصري والجذب الذي يمارسه على المتلقي يكون الجسد وسائر الحواس الأخرى في حالة نوم عميق، الأمر الذي يتيح للخيال المهيج بواسطة أدوات المخرج المعبأة عاطفيا والمنقاة خصيصا لهذا الغرض لأن يمارس هيمنته، وبالتالي تأثيرا أعمق وأكثر استمرارا<sup>33</sup>، فالمشاهد الذي يقع تحت تأثير القصة التي تلامس واقعه في كثير من جوانبها، وتأسره الصورة والموسيقى المدروسة المصاحبة لها، وانجذابه للشخصيات المجسدة لهذا العمل على تنوعها، فينسجم معها عاطفيا ويعيش معها بوجوده، يتلقى وباستساغة خالصة ما يبث من رسائل في هذا العمل، بغض النظر عن صحتها أو فسادها، وبما أن الأهمية الحقيقية في العمل الدرامي هي القيمة الإنسانية التي يعبر عنها العمل وليس لابتكار زاوية جديدة للتصوير، أو تركيب الفيلم، أو المسلسل، أو خلق إيقاع يتسم بالحساسية والذكاء، بل إنه ينبه إلى خطورة البراعة في استخدام هذه الأدوات وقدرتها على الإقناع حين يستخدمها صانع الدراما من أجل تضليل المشاهد وتزييف وعيه<sup>34</sup>، وهذا السحر الذي تتمتع به الدراما يتمكن أكثر من المشاهد إذا كانت الموضوعات المعالجة دينية على وجه التحديد، لأنها ترتبط أساسا بالوجدان، الذي يعد الوتر الحساس الذي يستهدفه صانع الدراما للإقناع والتأثير، فقد وظفت الدراما العربية موضوع تعدد الديانات وطريقة التعايش بين المنتمين لها في أغلب إنتاجها الفني باستعمال مختلف أدواتها الدرامية، بكل جرأة، مثل مشاهد التطرف المسيحي، والزواج بين المسيحي والمسلمة أو العكس، الصلاة في الكنيسة، سماع المسيحي للقرآن، الأقلية اليهودية، وغيرها من المشاهد الدالة على وجوب التلاحم بين أصحاب الديانات السماوية، رغم الاختلاف في المعتقد، كما أنها تسعى بذلك لنشر هذا التعايش والتسامح بين أفراد الوطن الواحد بغض النظر عن المشاكل التي يعانيتها كل طرف.

وبالتأمل في عينة من المسلسلات والأفلام نجد مشاهد كثيرة يظهر فيها المسلم والمسيحي في حالة

من الأخوة، والود، والاحترام، تذوب فيها الفوارق العقيدية، بل أحيانا تحس أن الديانتين ديانة واحدة وهذا راجع لإبداع المخرج والمصور، والحوار كذلك نجده مشحونا بلغة قوية تدل على الوحدة والمحبة وتحتوي هذه المشاهد على:

**4-1- صلاة المسلم في الكنيسة وصلاة المسيحي في المسجد:** من أهم المشاهد و أجريها على الإطلاق، تم عرض هذا المشهد في فيلم **حسن ومرقص**، وما دفعهما لهذا هو أن **"حسن"** الذي هو في الأصل مسيحي اسمه **"بولس"** أستاذ علم اللاهوت وقسيس يدعو إلى الوحدة الوطنية والتعامل مع الآخر المسلم بالحب والود فكان جزائه محاولة قتله من طرف متطرفين مسيحيين، فتكرر في شخصية المسلم **"حسن العطار"**، أما بالنسبة لـ **"مرقص"** فهو مسلم بالأساس اسمه **"محمود"**، لكن تنكر هو الآخر في شخصية **"مرقص"**، لأن جماعة إرهابية تهدده بالقتل لرفضه تولي إمارة الجماعة بدل أخيه أمير الجماعة. القصة مشحونة بمشاهد تحتاج إلى تحليل، منها مشهد الصلاة المتعلقة بممارسة المعتقد، فكل من **حسن المسيحي ومرقص المسلم** يحاولان جاهدين أن يدخل مكان عبادته بعد أن يدخل الآخر، لكن في النهاية يضطر كل منهما لأداء صلاته في غير مكانها المعتاد، فرغم اختلاف المكان إلا أنهما يتوجهان لإله واحد يرجونه بالدعاء لتوحيد هذا الاختلاف وجمع الشمل على الكلمة الحق، ربما قد يحصل هذا في واقع حياة كل من المسلم أو المسيحي ويتجه فعلا بالدعاء لربه أي كان المكان، لكن لم يركز واضع النص أو السيناريو على أداء الصلاة بالنسبة للمسلم كفرض وجب تأديته بشروطه ليقع مقبولا منه، وغفل عن حكم أداء صلاة المسيحي في المسجد في الديانة المسيحية لكن اهتم فقط بتسليط الضوء على المشترك بينهما وهو الدعاء، ولكنه وحده لا يكفي لإقناع المشاهد بوحدة الديانتين وهذا ما يسعى الفيلم لتقديمه في حين تظهر بعض المشاهد فيها إشارات تميز تدينا عن آخر، وتعلو بقيم شخصية على حساب أخرى، فالفيلم بالرغم أنه يعالج قضية علاقة المسلمين بالأقباط إلا أن أغلب الأحداث تدور حول تقديس المسلمين لشخصية **حسن العطار**، التي تتكرر بها **بولس** أستاذ علم اللاهوت، بطريقة تحصر تدين المسلمين في إيمانهم ببركة الشيوخ وكراماتهم، وهذا يبين الاتجاه الفكري لصناع الفيلم فهم يؤيدون فكرة وحدة الأديان التي تجور على الشريعة وتهمشها ويكرسون نظرة الغرب للمسلمين على أنهم جهلة يتبعون الخرافة... ويدعمونها.

**4-2- سماع القرآن في البيت المسيحي وصلاة المسلمين فيه:** نشير أولا إلى أن أغلب العلاقات الإنسانية بين المسلمين والمسيحيين وحتى اليهود غالبا تتم في إطار الجيرة أو المصاهرة، تربطهم علاقات طيبة مليئة المحبة والمودة والرحمة، ويحافظون على حقوق الجيرة بينهم، ولعل أفضل المشاهد الدالة على هذا التعايش مشهد في مسلسل **"اللهم إني صائم"** يتمثل في دعوة للإفطار في شهر رمضان من الجارة المسيحية إلى العائلة المسلمة، يؤكد هذا المشهد على العلاقة الحقيقية بين المسلمين والمسيحيين، ومن غير الشعارات المعتادة في المسلسلات والأفلام مثل يحيا الهلال مع الصليب، الذي ظهر بطريقة كوميدية

في الفيلم السابق ذكره، قدم صورة من التآخي تعكس الواقع حقيقة في المجتمعات التي تجمع بين ديانات مختلفة، فهو مشهد طبيعي ومكرر بين أبناء الوطن الواحد بغض النظر عن الديانة، لأن حسن الجوار قيمة لدى كل الديانات.

وبعمل المشهد نفسه على ترسيخ فكرة وحدة الأديان وتكاملها، فقد قامت الأسرة المسيحية بإذاعة آيات من القرآن قبل الإفطار كأنها أسرة مسلمة، حيث جمع المخرج في صورة واحدة بين صورة العذراء والمسيح المعلقة على الحائط و التلفاز الذي يُتلى فيه القرآن الكريم، واستكمالا لحالة والمحبة والتآخي تضع الأسرة المسيحية الساجيد للعائلة المسلمة لإقامة صلاة المغرب، حيث يلخص هذا المشهد وببساطة علاقة المسلمين والمسيحيين كما هي في الحقيقة وأفضل، فالمشهد يحمل كما هائلا من قيم التسامح والتعايش يجعل المشاهد يعيش الحالة بروحه، ويدخل عوالم المسلسل فيحيا مع أحداثه وأبطاله، فتمتزج المشاعر وتظهر أهم تقنية درامية، وهي تقنية التعارف بين المتفرج والشخصية الدرامية، أي أن المتفرج يبدأ في التعرف على بعض من ذاته وأجزاء من جوانب شخصيته الذاتية من خلال تلك الشخصية أو الشخصيات الدرامية، وهذا ما يسهم في إنجاح أعمال درامية بعينها دونما أعمال أخرى<sup>35</sup>، فالشخصيات في هذا المشهد ذات سمة إنسانية واقعية، فهي قادرة على البقاء على قيد الحياة الفنية مع تكرار ظهورها في أعمال أخرى، فهي تعطي نفس التأثير الوجداني وتحاكي الواقع الذي يقر حقيقة التسامح بكل قيمها، وفي الوقت يعمل المشهد ذاته على إفراغ شعائر الدين الإسلامي من دلالاتها وقيمها ويصورها كأنها عادات يشارك فيها المسيحيين دون أن تترك فيهم أثرا على مستوى الإيمان أو العقيدة، وهذا يقلل من قيم الشعائر الإسلامية ودورها في بيان حقيقة إيمان المسلم، فهي إذن ليست وحدة أديان وإنما سعي لتمنيع ما يختلف به الدين الإسلامي عن المسيحي وبالتالي ضرب الشريعة مروراً إلى العقيدة، فالتصدير المتكرر لعبارة "عبادة رب واحد" تجعل المتلقي يغفل عن الإيمان بالنبي محمد صل الله عليه وسلم وهذا جوهر الاختلاف بين الدين الإسلامي وكل الديانات فالإيمان به يستلزم الإيمان بما جاء به وبالتالي الإيمان بأن كل ما سبق من ديانات منسوخ وتم تحريفه وهذا ما يضر بنظرية وحدة الأديان.

#### 4-3- طبيعة العلاقات بين اليهود وغيرهم من مسلمين ومسيحيين: خلافا للعلاقة التي تجمع بين

المسلمين والمسيحيين تصور الدراما علاقة اليهود بهم، فهي تظهر بشكل أقل وتدور في إطار معالجة قضايا سياسية تارة ترفض التطبيع مع الكيان الصهيوني، وهذا يجسده فيلم السفارة في العمارة، وتارة أخرى تقبله باسم التسامح ووحدة الأديان، ويظهر هذا في مسلسل مأمون وشركاؤه، الذي يتعرض لبعض اليهود المغاربة الذين يدافعون عن الحركة الصهيونية، ويدعون بناء بني إسرائيل للأهرامات، كما تروج بعض المنابر الإسرائيلية<sup>36</sup>، ومن مشاهد المسلسل التي تعمل على ترسيخ ونشر التسامح بين المسلمين واليهود في المسلسل مشهد استضافة العائلة المسلمة لأصهارهم اليهود المغاربة القادمين من فرنسا، وأصهارهم المسيحيين القادمين من إيطاليا، حيث يبرز المشهد حالة التوجس والغربة على العائلة المسلمة من طباع

أصهارهم اليهود الذين لا يقبلون مشاركتهم الأكل وذلك راجع لخلفيتهم الدينية غير المعبر عنها، وفي مشهد آخر تؤدي العائلات الثلاثة الذين جمعتهم علاقة المصاهر بتأدية الصلاة في بيت واحد إشارة إلى الوحدة والتشارك في الحقيقة، أي تجسد الفكرة التي تقول بها نظرية التعددية الدينية، فالمسلسل هدفه الملحوظ في أغلب مشاهدته هو الفصل بين الصهيونية واليهودية كدين، وبث روح المسامحة والتعايش بين الديانات الثلاث، حيث جعل البيت الواحد رمزية لهذا التعايش والتكامل، لكن تتكرر الصورة النمطية للمسلم الذي يوصف دائما بالإرهابي كما سنوضح في العنصر التالي.

علاقة المصاهرة بين اليهود والمسلمين تظهر بشكل مختلف في فيلم **أولاد العم** الذي يعالج قضية الصراع الصهيوني الإسلامي، ويبين كيف يتنازل اليهودي عن تدينه مقابل قضيته، الفيلم يجسد الكره بين الصهاينة والمسلمين في الوقت الحالي، في حين يحاول مسلسل **حارة اليهود** -الذي دارت أحداثه سنة 1948م أثناء حرب فلسطين وتستمر حتى العدوان الثلاثي- بغض النظر عن الجدل الذي أثاره في الأوساط الإسرائيلية والمصرية والنقد الذي لقيه<sup>37</sup>، إلا أنه يعالج قضية اليهود كأقلية وفئة مستضعفة في تلك الفترة، وجاءت الشخصيات اليهودية في المسلسل طيبة متسامحة متعايشة مع المسلمين، حتى أن هناك علاقات حب بينهم، فاليهودية تحب المسلم، والمسيحية ترغب في اليهودي، فيصور المسلسل حالة من الانسجام بين الديانات الثلاث والحياة بينهم تتجلى في التعاون والتضامن.

وإذا كانت كثير من مشاهد المسلسل تقدم الحركة الصهيونية بصورتها الحقيقية في ذهن المتلقي المسلم على أنها مصدر الفساد والشر، فإنها تؤكد على أن المسلمين مسؤولون عن تخريب التعايش بين الأديان.

وبعد العرض المفصل نوعا ما لبعض المشاهد التي تناولت مظاهر التسامح والتعايش بين كل من المسلم والمسيحي واليهودي في وطن واحد، نجد نوعا من النمطية في تقديم الشخصيات الدينية، خصوصا شخصية المسلم المتدين، وهذا راجع إلى الأجندة السياسية التي يواليها القائمون على العمل الدرامي، وإلى معرفتهم الكاملة بالجمهور، ومكان نفسيته ونقاط التأثير وال جذب، فيقدمون كل ما يجذبه ويثير في ذهنه الشك تجاه معتقده وطريقة تدينه، المهم أن يجد المنتج ضالته في سوق الإنتاج، ويضمن حقه وريحه في التوزيع، وجمع نقوده المبعثرة دون أي اعتبارات فنية أو درامية<sup>38</sup> فالريح في أغلب الأعمال الدرامية هو المعيار، ما جعل كل القيم الأخلاقية والدينية التي من الواجب على الدراما نشرها تنهوى أمامه، وتفعل بالطريقة التي تزيد من هذا الربح بغض النظر عن انعكاساتها على المشاهد.

##### 5- صناعة الشخصيات الدينية في الدراما العربية:

تقدم الدراما إجمالا العلاقات الإنسانية بكل أنواعها، حيث يقع على معد النص الدرامي "الكاتب" مهمة تشكيل الشخصيات والتصوير الفني لعلاقتها ببعضها البعض، فيكشف عن بواطن الشخصية وما يحاك داخلها من خير وشر وصراعات مع الضمير، والمشاعر العميقة التي تعيشها الشخصية، الأمر الذي يستحيل معرفته وإدراكه في الواقع.

فالكاتب وحده هو الذي يستطيع كشف أسرار النفوس وبتيح للمشاهد فهم الناس فهما كاملا، وهذا ما يسمى بالسيكو دراما، والتي برزت أكثر في الدراما المعاصرة حيث ينطوي هذا النوع من الدراما على النظر إلى الإنسان في ضوء تأثيره بمخترناته الباطنية التي تحتوى على تجاربه، وانطباعاته، وردود أفعاله، ومن ثمة فقد تهتم هذه الأعمال بمعاملة الشخصية على أنها نتيجة وقائع خاصة، وغرائز فطرية<sup>39</sup>، ولكن كل هذا استنادا على خلفية ومرجعية الكاتب وثقافته عن الشخصية التي يصنعها ومكانتها الحقيقة في الواقع، مضافا إليها توجهات صانعي العمل الدرامي ككل، فأهم ما يميز الدراما النفسية هو محوريتها الشخصية وتفوقها على العقدة والحوار رغم الترابط والترتيب الحاصل بين مكونات البناء الدرامي من فكرة وقصة وحبكة وصراع وأحداث والشخصيات.

فانطلاقا من الفكرة التي لا بد أن تحمل قيمة إنسانية تهتم أكبر عدد ممكن من المتلقين، وأن تكون حقيقة موضوعية تتعلق بقضية من القضايا التي تواجه الناس، مروراً بالأحداث التي تتمثل في الوقائع التي تحدثها الشخصيات، وتواليها في نسق معين مشكلة الحبكة، ما يثير التشويق وإثارة العواطف والجذب للمتلقى، تأتي الشخصية لتحظى بالاهتمام الأكبر في الدراما المعاصرة على عكس الدراما القديمة القائمة على الفكر الأرسطي الذي يقول بتقديم الفعل في الأهمية على الشخصية<sup>40</sup>.

وإذا أتينا إلى فكرة الدين وتجسيد الدراما لها، نجد أن صانعي الدراما يولونها خاصة في الآونة الأخيرة اهتماما مختلفا نظرا لحساسيتها، وتأثيرها السهل والمباشر على المتلقي لما تمثله من قيمة عليا منفردة مرتبطة بالدنيا والآخرة، فالدراما حين تتناول الدين والعقيدة فإنها لا شك تعرف طريقها اليسير نحو مشاعر جماهيرها، وتعرف أنها تخاطب وجدانه بأقصر الطرق وأوضحها، مما يضمن لها النجاح والوصول إلى أكبر عدد ممكن من المشاهدين لهذا الفن<sup>41</sup>، فإن الشخصيات الدينية يكون لها مكان في القصة الدرامية حتما حتى لو لم يكن العمل ككل من الأعمال الدينية، وذلك يفرضه الواقع الذي تؤخذ منه القصة الدرامية ويعيشه المشاهد، وقد يجعل الكاتب في النص الدرامي تعددا في الشخصيات الدينية يناسب اختلاف الديانات في المجتمع الذي تدور فيه أحداث القصة، وهذا ما شهدته الدراما العربية مؤخرا، فنجد مثلا تجاورا بين عائلتين مسيحية ومسلمة تظهران في كامل التفاهم والتآخي رغم الاختلاف العقدي، ولا يكتفي صانعو الدراما بإبراز الفروق بين هذه الشخصيات المتدينة، وإنما المتتبع للدراما السينمائية والتلفزيونية بالتحديد يجد أن هناك نوعا من التمييز للشخصيات الدينية.

**5-1- شخصية المسلم المتدين:** تقدم الأعمال الدرامية عموما هذه الشخصية عادة في قالب واحد، فإذا كان العمل لا يركز بشكل مباشر على علاقة المسلم بغيره من أصحاب الديانات الأخرى، فإن هذه الشخصية تصور على أنها متزمتة ومتعصبة للتدين السلوكي وليس القيمي كاللحية والحجاب، ورفض الفرح والميل إلى الحزن والاكتئاب، وتتميز كذلك من الناحية الاجتماعية بالبخل والأنانية، كما تصورها شخصية "دعاء" في مسلسل **سابع جار** (2018) الطبية البخيلة المتحجرة فكريا، المتعصبة دينيا، الفاشلة

عائليا، كما تصورها أيضا شخصية أخرى مماثلة لهذه في فيلم **أوقات فراغ** سنة (2006) حيث أن الفتاة الملتزمة المتدينة هي من تقع في المعاصي والأخطاء التي لا تغتفر، بعكس الفتاة المتحررة غير الملتزمة، والتي هي مثال للمرأة الناجحة في حياتها، المتعاونة مع الآخرين، المعتدلة في التفكير، وهذه الفكرة رسالة فيلم **أسرار بنات** 2001.

أما بالنسبة للرجل المتدين فهو غالبا ما يوصف بالتطرف والجهل والمبالغة في تطبيق أحكام الدين، في حين أن بواطنه وأفعاله غير سليمة، فهو يتجاوز حدود الشريعة التي من المفروض أن يلتزم بها حسب معتقده ومبادئه، وهذه الشخصية برزت بكثرة في مسلسل **الريان** 2011، الذي عالج قصة رجل أعمال غني متدين فاسد، وفيلم **مرجان أحمد مرجان**، الذي يجسد مجموعة الشباب المتدين في الجامعة على أنه شباب فاسد أخلاقيا، يحلل لنفسه ما هو حرام باسم الدين نفسه، وأنه شباب مهزوز ضعيف أمام المغريات، يغير معتقده ومبادئه من أجل المال، وكذلك مسلسل **ما ملكت أيمانكم** سنة 2010 يعالج قضايا التطرف الديني والفساد والإرهاب!! الإرهاب الذي يتمثل في نظر الدراما في الحجاب والليحية، والجماعات الإسلامية والدعوة إلى الله، أو تصويره بصورة الرجل الضعيف الفقير الدرويش، حيث يجمع المخرج الدين بالجهل والتخلف، وهذه الشخصية تظهر في مسلسلات كثيرة منها السبع وصايا، و ونوس، شيخ العرب همام، أهل الدنيا ..

فالدراما تعمل على تقديم الشخصية المتدينة المسلمة بالتركيز على جانبها السلبي، وجعله الحقيقة المنتشرة بين كل المسلمين بتكرار هذا النوع من الشخصيات تقريبا في كل مسلسل أو فيلم، فيصور المسلم الملتزم بشخصية غير سوية في الغالب الأعم، شخصية مكبوتة جنسيا، مهزوزة غير ثابتة على مبادئها، تعرض على المشاهد لا كما يجب أن تكون، أو كما هي بالفعل، بل كما يريد صانعو الدراما أن تكون، خدمة لتوجهاتهم وتحقيقا لأهدافهم

**5-2- شخصية المسيحي:** في الدراما العربية تعرض هي كذلك في قالب واحد، هو الطيبة والتسامح الزائد مع غيره، غالبا ما يكون المسيحي غنيا متعاوننا مع غيره مسلما كان أو مسيحيا، وكراما لأبعد الحدود، وهذه الشخصية يجسدها الجار المسيحي في مسلسل **سابع جار** الذي يحل مشاكلهم المالية الكبيرة بكل ود ومحبة، وإذا تناولت الشخصية في قضية دينية فهو يكون مسيحيا متدينا متعايشا مع متطلبات عصره بانسجام، أو مضطهد الحقوق باعتباره أقلية في مجتمع أغلبية مسلم، وهذه الشخصية مجسدة في فيلم **حسن ومرقص**، ومسلسل **الأخت تريز** وفيلم **الوعد** وغيرها من المسلسلات والأفلام.

**5-3- شخصية اليهودي:** في الدراما العربية قليلة الظهور لكن تظهر دائما في صورة واحدة تتمثل في الدهاء والذكاء، وكذلك النفاق في معاملة غيره مسلما كان أو مسيحيا، بالإضافة إلى أنها شخصية غنية وثورية، تعيش بحذر شديد وسط المخالفين لها في العقيدة، وتتصف بالجبن، نلمس هذا في فيلم **أولاد العم** ومسلسل **مأمون وشركاؤه**، فشخصية اليهودي حسب الصورة التي تنقلها الدراما تتماشى والصورة

النمطية المتواجدة في أذهان المسلمين عن اليهود، وفق ما هي عليه في تراثنا الإسلامي.

### خاتمة:

يتميز الطرح الدرامي لموضوع الدين بصفة عامة وموضوع التعددية الدينية بصفة خاصة عن طرحه للموضوعات الفكرية والاجتماعية وحتى السياسية، لأن موضوع الدين حاضر في كل مجالات الحياة، فالواقع الذي هو المرجعية الأساسية في بناء النص الدرامي يفرض على الكاتب تناول هذا الاختلاف الديني بالمعالجة، والصياغة حسب الظروف والتطورات الحاصلة.

وبحكم اتجاهات القائمين على العمل الدرامي وأهدافهم، وظهور نظريات قديمة جديدة تتناول موضوع علاقة الدين بالسياسة، وخلق مصطلحات متناسبة مع هذه النظريات مثل الإرهاب، والإسلام السياسي، والأقليات الدينية، والحوار الإسلامي-المسيحي، وجدت الدراما ضالتها أي ما يحقق الانتشار والربح والاكتمال الجماهيري، وبتتبع عدد من المسلسلات والأفلام التي تم إنتاجها خلال السنوات العشر الأخيرة نجد ما يلي:

✓ التركيز على طبيعة العلاقات بين المسلمين والمسيحيين بشكل كبير، وتصويرها في نموذج يحقق ما هو مطلوب في ملف الحوار والتعددية الدينية؛ أي أن عددا لا بأس به من المسلسلات والأفلام تجسد في أرقى المشاهد مفهوم التسامح والتعايش بين المختلفين ديانة، وترسخ ما يتعلق بهذا المفهوم من تضامن وتآخي وتكامل بين الديانات، باستخدام أقوى التقنيات الدرامية وهي الصورة والموسيقى التأثيرية.

✓ مفهوم وحدة الأديان وتشاركها في الحقانية مبثوث في الحوار بين الشخصيات الدينية كلفظ "طريقنا واحد"، "نحن نعبد ربا واحدا" وغيرها من العبارات الدالة على الوحدة في الدين وصحته، وهذه الفكرة- وحدة الأديان -تحمل من الغلط الكثير وتناقض ما جاءت به الرسالة الخاتمة وما هو مثبت في الديانة المسيحية في أنجيلها الأربعة المعتمدة من أقوال تؤكد نبوة محمد ونسخها لما قبلها، ولكنها تتماشى مع ما يحمله ملف التسامح الذي طرحه المجمع الفاتيكاني بعد طلبه للحوار 1962<sup>42</sup>. للحد حسب زعمهم من الصراع بين الطرفين إذن فهو تسامح بمعناه في الأدبيات

المسيحية ووحدة نابغة من المفهوم المسيحي للدين والتدين

✓ كثير من المشاهد التي تناقش فكرة تعدد الديانات سواء تلفزيونية أو سينمائية نجد فيها نوعا من الرمزية والإشارة للتطرف الإسلامي.

✓ أغلب العلاقات التي تربط بين المنتمين للديانات السماوية في الدراما هي الجيرة والمصاهرة، وفي

إطار هذه العلاقات التي تصور في مشاهد من التسامح والتآخي نلمس نمطية مقصودة في تقديم كل شخصية على حده.

✓ يقحم صانعوا الدراما أحيانا موضوعات التسامح في بعض النصوص رغم أن معالجتها لا تتطلب حضورها وذلك بغرض توظيفها كعامل جذب للمشاهد، ما جردها من قيمها الأصلية - وهي التقريب بين أهل الديانات المختلفة وتتوير فكر المشاهد حيالها- وجعلها وسيلة لتسويق المنتج الدرامي من خلال رفع نسب المتابعة من مختلف الديانات.

## الهوامش:

- 1- ينظر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث (بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 2005)، ص225 و أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج3، ط2، 1979)، ص99
- 2- ابن منظور: لسان العرب، بيروت، لبنان دار صادر، ج2، ط6، 1997)، ص489
- 3- علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (د.ب دار الريان للتراث، د.ط)، ص160.
- 4- سورة البقرة: الآية109
- 5- سورة النحل: الآية125
- 6- سورة المائدة: الآية13
- 7- محمد الطاهر بن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الاسلام (الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1985)، ص226
- 8- أبو الأعلى المودودي: الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، ترجمة: خليل أحمد الحامدي (الكويت، دار القلم، ط4، 1980)، ص39
- 9- سومية حجاج: المشترك الديني بين الأديان السماوية والعالمية (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2016)، ص395
- 10- محمد سعيد رمضان البوطي و هانز كينغ، دور الأديان في السلام العالمي (دمشق، دار الفكر، ط1، 2013)، ص50
- 11- محمد الطاهر بن عاشور: المرجع السابق، ص230
- 12- ناجية لوريمي، في مفهوم التسامح، "من كتابها الاختلاف وسياسة التسامح" (الدار البيضاء، مؤسسة مؤمنون، بلا حدود، 2016)، ص4، متاح على الرابط:  
<https://www.mominoun.com/pdf1/2016-08/ttasamouh.pdf>
- 13- لويس حزيون: مفهوم التسامح في ضوء المسيحية، 13/11/2011، www.abouna.orgK، ص19:51
- 14- اليونسكو، إعلان مبادئ بشأن التسامح في دورته الثامنة والعشرين، 16/11/1995
- 15- منير البعلبكي، رمزي منير البعلبكي: قاموس المورد، حرف، t، (دار العلم للملايين، بيروت، الساقى، ط2، 2008)، ص1234.
- 16- سمير خليل وآخرون، التسامح بين الشرق والغرب، ترجمة: إبراهيم العريس (لبنان، دار الساقى، ط1، 1996)، ص6-7.
- 17- جميل صليبا، المعجم الفلسفي (بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982)، ص271.
- 18- سهيل حسين الفتلاوي، مبدأ قبول الآخر بين القانون والشرعية دراسة في القانون الدولي لحقوق الإنسان

- ، مجلة دراسات دولية، العدد 54، ص ص 3-4. متاح على الرابط:
- <https://jicis.uobaghdad.edu.iq/index.php/politics/article/view/345/301>
- 19- ابن فارس: المرجع السابق، ج4، ص194.
- 20- أحمد مختار عبد الحميد: معجم اللغة العربية المعاصرة (القاهرة، عالم الكتب، ج2، ط1، 2008)، ص1583.
- 21- عبد الله جبر الخطيب الإسلام والتعايش السلمي  
<https://books-library.net/free-318450589-download>
- 22- عدلي السيد رضا، البناء الدرامي في الراديو والتلفزيون ( القاهرة دار الفكر، ط1، 1988)، ص35.
- 23- أحمد كمال زكي: دراسات في النقد الأدبي ( القاهرة دار الأندلس، ط2، 1980)، ص52.
- 24- عز الدين المصري: الدراما التلفزيونية مقوماتها وضوابطها (رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية غزة، 2010)، ص33.
- 25- ربحي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم: مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق (عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، 2000)، ص43.
- 26- وجيه قانصو: التعددية الدينية في فلسفة جون هيك المرتكزات اللاهوتية والمعرفية، الدار العربية للعلوم، ص117، نقلا عن محروس محمد بسيوني: التعددية الدينية رؤية نقدية، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد6، العدد12، (2016)، ص421.
- 27- محمد مهدي الآصفي، التعددية الدينية، متاح على الرابط:
- <http://iranarab.com/Default.asp?Page=ViewArticle&ArticleID=591>
- 28- بسطامي محمد سعيد: مفهوم تجديد الدين ( المملكة العربية السعودية، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط3، 2015)، ص98
- مؤسسة مؤمنون بلا حدود، وهي مؤسسة فكرية بحثية تجمع ثلثة من الباحثين والناشطين في مجالي الفكر والثقافة، مقرها مدينة الرباط في المملكة المغربية، لها عدة فروع، في بعض الدول العربية، تتبنى فكر التسامح والحوار بين الأديان ويظهر هذا في منشوراتها، وتعمل جاهدة لجذب عدد اكبر من الأتباع ، تأسست في ماي 2013 تعنى بتنشيط البحث المعرفي في الحقول المعرفية والثقافية عموما والدينية خصوصا.
- <https://www.mominoun.com/contacts/overview>
- 30- عبد الكريم سروش، الصراطات المستقيمة قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية، ترجمة: أحمد القبانجي (بغداد منشورات الجمل ، ط1، 2009)، ص 24
- 31- محروس محمد بسيوني: المرجع السابق، ص418
- 32- يؤكد هذا عدّة دراسات أجرت عن مدى تأثير الدراما على المشاهد منها الدراسة التي قام بها محي الدين عبد الحليم بعنوان الدراما التلفزيونية والشباب الجامعيين حيث أسفرت النتائج عن ارتفاع معدل مشاهدة الشباب

للمسلسلات حيث بلغت 91.67% من عينة الدراسة، وهذه النسبة غير هينة، تشير إلى الدور الحيوي الذي يمكن أن يتركه هذا النوع من الأعمال الدرامية على اتجاهات المشاهدين والذي يمكن أن نستثمره من خلالها لتوجيه هذا المتلقي، كما تشير إلى الأثر السلبي الذي يمكن أن تتركه إذا لم يتم توجيههم، كما أن هذه الأعمال تساهم في التأثير على السلوك بنسبة 60% تأثيراً كاملاً أو جزئياً، وإذا كانت هذه الأعمال تحدث تأثيراً في الطبقة المثقفة فإن تأثيرها يكون أعمق لدى غير المتعلمين (مساعد بن عبد الله المحيا: القيم في المسلسلات التلفازية، دار العاصمة، السعودية، 1414هـ، ط1، ص137).

33- عز الدين المصري: المرجع السابق، ص11.

34- أموس فوجل، السينما التدميرية، ترجمة: أمين صالح (بيروت، دار الكنوز الأدبية، ط1، 1995)، ص12

35- عزة أحمد هيكل، الدراما التلفزيونية رحلة نقدية (القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2016)، ص20.

36- محمد كريم، مأمون وشركاه .... إفلاس يغازل رغبات النظام، العربي الجديد، متاح على الرابط:

<https://www.alaraby.co.uk> "مأمون وشركاه"-إفلاس-يغازل-رغبات-النظام

37- ينظر: حارة اليهود دراما تثير الجدل بمصر وإسرائيل، متاح على الرابط:

<https://assabeel.net/220865> وعلاوة مزياني: مسلسل حارة اليهود يثير جدلاً في مصر وغضباً في

إسرائيل، متاح على الرابط:

- مسلسل حارة-اليهود-مصر-إسرائيل-علاقات-الإخوان-المسلمون <https://www.france24.com/ar/20150625>

38- عزة أحمد هيكل، المرجع السابق، ص17.

39- عز الدين المصري، المرجع السابق، ص91.

40- المرجع نفسه، ص191.

41- محمد صلاح الدين: الدين والعقيدة في السينما المصرية ( القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1، 1998)، ص8.

42- بسبب الاختلاف النسبي في الآراء داخل الفاتيكان عن الدين الإسلامي اعتمدت الكنيسة الكاثوليكية الحوار مع المسلمين، استناداً إلى موقفٍ اتخذته إبان انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني "1962-1965"، يتجلى هذا الموقف في نصّ تصريحها الآتي: ((إنّ الكنيسة تتطرّف بعين الاحترام إلى المسلمين أيضاً الذين يعبدون الله الواحد الحيّ القيوم الرحيم، والقادر على كلّ شيء، خالق السماء والأرض. الذي كلّّم الناس وهم بدورهم يخضعون لأوامره الغيبية بقلوبٍ راضية كما خضع له إبراهيم والذي يشغل مكانةً مميزةً في العقيدة الإسلامية. إنّ المسلمين يُجلّون المسيح بوصفه نبياً وإن كانوا لا يعترفون به إلهاً، ويحترمون أمّه مريم البتول ويذكرونها بإخلاصٍ أحياناً. ثم إنهم يرجون اليوم الآخر، يوم يجزي الله جميع الناس بعد البعث، وهم بالتالي يُقدّرون الحياة الأخلاقية ويعبّدون الله بالصلاة والزكاة والصيام خاصة. وإذا نشأت عبر القرون خلافات وعداوات غير قليلة بين المسلمين والمسيحيين، فإن المجمع الفاتيكاني المقدّس يدعو الجميع إلى نسيان الماضي ومحاولة الشروع بالتفاهم المتبادل الصادق، والعمل المشترك لنصرة وتأكيد العدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية والسلام والحرية لجميع الناس) حسام الدين على مجيد: الحوار الإسلامي- المسيحي قراءة في الماهية والأهداف، ص3،

[https://www.researchgate.net/publication/304168737\\_alhwar\\_alaslamy-](https://www.researchgate.net/publication/304168737_alhwar_alaslamy-almsyhy_qrat_fy_almahyt_walahdaf/citation/download)

almsyhy\_qrat\_fy\_almahyt\_walahdaf/citation/download ،

هذا النص يؤكد الاختلاف الجوهرى بين الديانات وانتفاء الوحدة التى هى عبارة عن مشروع فائىكانى ناتج عن خلفية عدائية ضاربة فى القدم وبديل عن الصراع الذى لم يؤتى أكله بالنسبة لهم وان كانت الأديان واحدة لما كانت هذه الدعوة من المجمع الفائىكانى.